مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد: 27 عدد: 4 (رت 73) السنة: 2023

الآراء النّقدية حول كتاب "طبقات فحول الشّعراء" لابن سلام الجمحي
Critical opinions on Salam Al-Jamhi's book "Layers of Poetry

هاجر بلخيري[1]
جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
belkhiri.hadjer@univ-alger2.dz

تاريخ الوصول 2022/12/23 القبول 2023/05/12 النشر على الخط 2023/06/05
Received 23/12/2022 Accepted 12/05/2023 Published online 05/06/2023

ملخص:

لم يكن **ابن سلام الجمحي** أوّل من كتب في الطّبقات، إذْ سبقه المحدِثون إلى ذلك، لكنّه أول من استخدم فكرة الطّبقات في النّقد، ويُعدّ كتابه "طبقات فحول الشّعراء" البنية الأولى في النّقد العربي القديم، لهذا كانت آراء النّقاد حوله متباينة ومختلفة، فهو البذرة الأولى الّتي أسس عليها النّقد القديم، فقد وقف النّاقد على عناصر إيجابية في كتابه، وبعضها كان سباقا إليها كحديثه عن قضية الانتحال.

الكلمات المفتاحية: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، الآراء، النّقد.

Abstract:

Ibn Salam al-Jamhi was not the first to write in the prints, preceded by speakers, but he was the first to use the idea of the prints in criticism, and his book is considered The first structure of the old Arab critique, which is why critics' opinions about the book were different and different. It is the first seed on which the old critique was based. The critics stood on positive elements in his book, some of which were as proactive as his talk of plagiarism.

Keywords: The son of Salam Al-Jamhi, layers of poetry, opinions, criticism.

[1] المؤلّف المراسل: هاجر بلخيري البريد الإلكتروني: belkhiri.hadjer@univ-alger2.dz

1. مقدمة:

بدأ العرب ممارسة النّقد في أواخر العصر الجاهلي، وكان ميدان نشاطه المجالس الأدبيّة والأسواق التّجارية مثل سوق عكاظ، هذا الأخير كان يجتمع فيه الشّعراء لإلقاء أشعارهم، فكان الشّعراء ينقدون بعضهم البعض، تلك الخطوة تعدّ النّواة الأولى للنّقد العربي.

وبقي الشّعر على هذه الحال إلى غاية القرن الثّالث الّذي برز **الأصمعي وابن سلام الجمحي** وغيرهم، إذْ حاول هؤلاء من خلال كتبهم وضع الخطوات الأولى للنّقد الأدبي، خاصة كتاب "طبقات فحول الشّعراء" **لابن سلام**، حيث لجأ هذا الأخير إلى الموازنة بين الشّعراء وذلك عن طريق فكرة الطّبقات الّتي أخذها عن المحدِّثين.

وقد كان عمل **ابن سلام** مُمنهجا ودقيقا، لهذا يعتبر كتابه اللّبنة الأولى الّتي أُسس عليها النّقد العربي القديم، فهو أوّل من اعتمد منهج الطّبقات في النّقد الأدبي، الّذي كان شائعا عند المحدثين، ووزع **ابن سلام** الشّعراء إلى طبقات حسب معايير مختلفة.

انطلاقا ممّا سبق نطرح الإشكاليّة التّالية: **كيف قرأ النّقاد المحدَثون والمعاصرون كتاب ابن سلام الجمحي؟**

انطلاقا من هذه الإشكالية نخرج إلى مجموعة من الأسئلة الفرعية المتمثلة في:

_ ما هو المنهج الّذي اعتمده **ابن سلام** في تصنيف كتابه "طبقات فحول الشّعراء"؟

_ فيما تمثلت الآراء النّقدية حول الكتاب؟

_ هل التزم النّاقد بالمنهج المعتمد عليه؟ وإلى أيّ مدى وفق في تصنيفه للشّعراء؟

الهدف من هذه الدّراسة معرفة الآراء المختلفة حول كتاب **ابن سلام**، إضافة على ذلك الوقوف على منزلة هذا الكتاب في النّقد الأدبي وعند الدّارسين، وإبراز إيجابيات الكتاب وسلبياته إنْ وجدت.

اعتمدنا في عملنا على المنهج التّاريخي، فتتبعنا من خلاله أهم الآراء الّتي وجهت للكتاب وصاحبه، وتطلب هذا البحث أيضا الاستناد على آليات أخرى كالتّحليل والوصف والنّقد.

2. نبذة عن ابن سلّام الجمحي:

2.1 حياته:

هو **أبو عبد الله محمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي**، عالم من علماء البصرة، ولد سنة ١٣٩هـ، أديب وراوي وعالم بأخبار العرب وشعرهم وأيامهم، أخذ العلم عـن **حمادة بـن سلمة ومبارك بـن فضالة** وغيرهم، وروى عنه **أحمد بن حنبل وأبو العباس ثعلب النّحوي** وغيرهم[1]، فنشأ **ابن سلام** بين علماء العربيّة الأوائل من النّحاة واللّغويين ورواة الشّعر والأدب، كما أنّه روى عن شيوخ الحديث.

وهناك خلاف في روايته للحديث، فتُقبل روايته في الشّعر، أمّا الحديث فيُحذر من روايته له لأنّه يقول بالقدر[2].

[1]. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح.: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ج6، ص2540 و2541، والزّركلي خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980، ج6، ص146.

[2]. ينظر: الزّركلي خير الدّين، الأعلام، ج6، مصدر سابق، ص146.

2.2 مؤلفاته:

يعدّ **ابن سلّام** أوّل من ألف في النّقد الأدبي، وقد بنى كتابه وفق منهج الطّبقات، فكان كتابه "طبقات فحول الشّعراء" أوّل كتاب نقدي مكتمل البناء، وهو كتاب جامع للآراء الّتي قيلت حول الشّعراء الّذين ذكرهم **ابن سلام**، ولم يضعه **ابن سلّام** إلّا لتأثره بالتّحولات الّتي شهدها العصر الّذي عاش فيه، فهو أوّل من اختص في النّقد بوضع كتاب مستقل بعد أنْ كان مجرد تحليل لعبارات وجمل مشتتة في أمهات الكتب، فكان **ابن سلام** السّباق إلى العديد من القضايا النّقدية الّتي عادت من جديد إلى السّاحة النّقدية في العصر الحديث، كقضية الانتحال الّتي تناولها المستشرق **مرجوليوث** والنّاقد المصري **طه حسين**.

ومن مؤلفاته نجد "بيوتات العرب" و"غريب القرآن" و"الفاضل في ملح الأخبار والأشعار" و"الحلاب وإجراء الخيل"[1].

2.3 وفاته:

أصيب **ابن سلام** في آخر حياته بمرض شديد أقعده الفراش، فأرسل له الأمراء عدّة أطباء من بينهم الطّبيب **ماسويه**، وعاش بعد هذا المرض عشرة سنين وتوفي سنة ٢٣١هـ[2].

3. منهج كتاب "طبقات فحول الشّعراء":

اتبع **ابن سلّام الجمحي** في كتابه "طبقات فحول الشّعراء" منهج علمي دقيق، يعتمد على فكرة "الطّبقات"، وأوّل من اعتمد هذا المنهج المحدثون وكان ذلك لعدّة أسباب دينية، ثمّ انتشر استعماله في باقي العلوم.

ولا نتعجب إنْ تأثر **ابن سلّام الجمحي** بالمحدِّثين لأنّه كان من رواة الحديث _ حتّى وإنْ لم يؤخذ بروايته _، ورتب **ابن سلّام** الشّعراء وفق التّسلسل التّاريخي، حيث قسم الشّعراء إلى شعراء العصر الجاهلي وشعراء العصر الإسلامي، يقول: « فصلنا الشّعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الّذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزّلناهم منازلهم، واحتججنا لكلّ شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء »[3]، إضافة إلى معايير أخرى.

فقسم **ابن سلّام** كتابه إلى جزأين: تطرّق في الجزء الأوّل إلى الحديث عن شعراء العصر الجاهلي، أمّا الثّاني فتعرض فيه لشعراء الإسلام، ثمّ قسم الشّعراء إلى عشر طبقات، وفي كلّ طبقة وضع أربعة شعراء _ طبقة مغلقة _ متعادلين من حيث الخصائص الفنية، والمعايير الّتي استند عليها **ابن سلّام** في اختياره وترتيبه لهؤلاء الشّعراء كثيرة، لكن تركيزه بالدّرجة الأولى كان على الشّعراء المشهورين فقط، فهو لم يتعرض إلى كلّ الشّعراء، يقول: « فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألفنا من تشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط في كلّ طبقة، متكافئين معتدلين »[4]، لكنّه في الجزء الأول يتجاوز عدد

---

[1]. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، ص2541، والزّركلي خير الدّين، الأعلام، ج6، ص146، وابن النديم، الفهرست، مؤسسة الفرقان للتّراث الإسلامي، لندن، دط، 2009، مج1، ص350.

[2]. ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج6، مصدر سابق، ص2541.

[3]. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دط، دت، ج1، ص23_24.

[4]. المصدر نفسه، ج1، ص24.

الطّبقات العشر، إذْ تناول طبقات أخرى لها علاقة بالغرض الشّعري والمكان والمذاهب وهي: شعراء القرى العربيّة، شعراء مكة، شعراء الطّائف، شعراء البحرين، شعراء اليهود.

والطّبقة عند **ابن سلام** تعني المنهج لأنّه عالج فنا أدبيا واحدا وهو الشّعر، لكنّه يُحاول من خلال دراسته بيان منزلة الشّعراء بالنّظر إلى معايير متباينة بين شاعر وآخر، فلكلّ شاعر منهج ومميزات جعلته إمّا يتفوق على شاعر آخر أو العكس.

4. الآراء النّقدية حول كتاب ابن سلام:

4.1 طه أحمد إبراهيم:

سبق وذكرنا أنّ كتاب **ابن سلام** يعدّ أوّل كتاب نقدي في الطّبقات، بل إنّه أوّل كتاب مستقل في النّقد الأدبي، ومهما كانت منزلة هذا الكتاب فإنّه كغيره من الكتب تعتريه بعض المآخذ.

يتعرض **طه أحمد إبراهيم** في كتاب "تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ــ من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع الهجري ــ" إلى كتاب **ابن سلام**، مبرزا القضايا الّتي تناولها **ابن سلام** والمعايير الّتي اعتمد عليها في تصنيفه للشّعراء، ويرى أنّ **ابن سلام** خانته فطنته وذاكرته لأنّ تحليله للشّعر كان علميا بالدّرجة الأولى ولم يكن أدبيا، يقول في ذلك: « وإذا كان **ابن سلام** بارعًا كلّ البراعة في تناول المسائل الأدبيّة في جميع أطرافها، فإنّ ملكته الأدبيّة في تحليل الشّعر وتذوقه لا تكاد تظهر فيما كتب، ملكته الأدبيّة أضعف بكثير من ملكته العلميّة »[1]، وهذا صحيح لأنّ **ابن سلام** لم يقدّم حججه في تصنيف الشّعراء، بل كان يعتمد آراء اللّغويين والنّحويين وهي حجج علميّة، في حين كانت آراؤه قليلة جدّا.

ومن المآخذ الّتي ذكرها **طه أحمد إبراهيم** على **ابن سلام**، أنّ هذا الأخير وضع **الرّاعي النّميري** (**ت ٩٠هـ**) في الطّبقة الأولى من طبقات فحول الإسلام دون تقديم حجج أو معايير تصنيفه له، ووضع **كعب بن زهير** في الطّبقة الثّانية وأمثلة كثيرة على ذلك[2].

وذكر النّاقد أنّ **ابن سلام** كان موفقا في نظام الطّبقات، وذلك عندما ميّز بين شعراء الجاهلية من حيث البداوة والقرى، لكنّه أخفق في تناوله لشعراء القرى، إذْ لم يقدم عليهم شيئا، فكان حديثه عنهم مجرد سرد.

كما أشار إلى ما ذهب إليه **عبد العزيز عتيق**، وذلك عند حديثه عن وضع شعراء من العصر الجاهلي مع شعراء العصر الإسلامي، وهذا كان مع **بشامة بن الغدير المُرّى** الّذي وضعه في الطّبقة الثّامنة من طبقات فحول الإسلام، **وأبي زبيد الطّائي** الّذي وضعه هو الآخر في الطّبقة الخامسة من طبقات فحول الإسلام[3].

رغم كلّ هذه المآخذ يبقى كتاب **ابن سلام** في نظر **طه أحمد إبراهيم** كتابا قيما، باعتباره كان جامعا للآراء النّقدية المختلفة، فقد ربط بين تلك الآراء حتّى يقدّم لنا مقاييس تصنيف فحول الشّعراء،

فكان تحليله لشعر الشّعراء علميا، أمّا من النّاحية الأدبيّة فكان نادرا جدا[4].

---

[1]. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ــ من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع الهجري ــ، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، دط، 2004، ص109.

[2]. ينظر: طه أحمد إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب ــ من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع الهجري ــ، مرجع سابق، ص109 و110.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص111.

[4]. ينظر: المرجع نفسه، ص111 و112.

4.2 أحمد أمين:

يرى **أحمد أمين** أنّ **ابن سلام** قد خطى بالنّقد الأدبي خطوة إيجابية، وشبه عمله هذا بعمل اللّغويين والنّحويين، يقول: « ونقل النّقد خطوة جديدة كالخطوة الّتي خطتها اللّغة من كلمات مبعثرة إلى معجم منظم، أو كنقل الأبحاث النّحوية المفرقة إلى كتاب ككتاب **سيبويه** »[1]، ونحن نوافق النّاقد فيما ذهب إليه كون **ابن سلام** وضع اللّبنة الأولى لهذا العلم وفق منهج الطّبقات الّذي التزم فيه _ لحد ما _ رغم ما لحقه من بعض السّقطات والانزلقات.

عرض بعد ذلك **أحمد أمين** إلى قضية الانتحال الّتي اعتبرها أهم قضية طرحها **ابن سلام**، مشيرا إلى الأسباب الّتي ذكرها **ابن سلام** نفسه دون أنْ يُبدي رأيه فيها[2].

ووقف النّاقد عند كيفية تصنيف الشّعراء إلى طبقات، وجعل هذا التّصنيف أهم عمل قام به **ابن سلام** في كتابه، فإنْ كان هذا الأخير ركز في دراسته على آراء سابقيه في ترتيب الشّعراء، فإنّه يُدلي بدلوه في خضم هذه النّظرات، فبصمته تبقى واضحة رغم ذلك، ومثال ذلك: تمييزه بين شعراء المدينة والرّيف.

يختم **أحمد أمين** رأيه حول الكتاب بفكرة عامة اعتبر فيها كتاب "طبقات فحول الشّعراء" _ رغم أنّه أولى كتب النّقد _ كتابا خاليا من التّنظيم والدّقة مع نقص في التّرتيب[3]، وهذا أمر واقعي كون **ابن سلام** لم يلتزم بالمنهج الّذي ذكره في مقدمة الكتاب.

4.3 شوقي ضيف:

يُشير **شوقي ضيف** إلى أهمية قضية الانتحال الّتي ذكرها **ابن سلام**، كما يُبين مدى خطورتها على الشّعر العربي القديم، لهذا كانت الرّواية أهم عنصر في توثيق الشّعر، وبها يتحقّق نسبة الشّعر إلى صاحبه، وقد ميّز **ابن سلام** في كتابه بين الرّواة الثّقاة وغير الثّقاة، وبذلك وضع حدّا فاصلا بين الشّعر الصّحيح والشّعر المفتعل[4].

ويذكر **شوقي ضيف** أنّ **ابن سلام** أوّل من تطرّق إلى اختلاف الشّعر باختلاف بيئة الشّاعر[5]، فشعر أهل البادية خشن ويحمل في طياته عناصر البداوة من الخيم والصّحراء وغيرها، أمّا شعر أهل القرى يتجه عكس ذلك فهو ليّن ويحمل صفات القرية والمدينة، **فشوقي ضيف** يجري في ذلك مجرى سابقيه.

كما يرى النّاقد أنّ **ابن سلام** لم يتناول في كتابه شعراء العصر العباسي[6]، وهذا ليس بالأمر الغريب كون **ابن سلام** ذكر منهجه في في مقدمة كتابه، وحصر دراسته على شعراء العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي.

---

[1]. أحمد أمين، تاريخ النّقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، مصر، دط، 2012، ص382.

[2]. ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]. ينظر: أحمد أمين، تاريخ النّقد الأدبي، ص383.

[4]. ينظر: شوقي ضيف، في النّقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت، ص52.

[5]. ينظر: المرجع نفسه، ص53.

[6]. ينظر: المرجع نفسه، ص54.

ويذكر النّاقد أنّ **ابن سلام** لم يقدم معايير تصنيف الشّعراء في أكثر الأحيان[1]، وهذا صحيح إذْ اعتمد **ابن سلام** في تصنيفه على معايير في طبقة دون أخرى، بل هو يتناقض في بعض الأحيان في تلك المقاييس، ويكون في الكثير من الطّبقات ساردا للشّعراء فقط.

وفي الأخير يُعطي **شوقي ضيف** رأيه حول كتاب **ابن سلام** "طبقات فحول الشّعراء"، بأنّه كتاب في النّقد اللّغويّ والنّحويّ، إذْ يقول: « على كلّ حال هذا الكتاب هو خير ما جاءنا عن اللّغويين حتّى القرن الثّالث للهجرة، ومن الغريب أنّ النّقد لم ينْمُ عندهم بعد، فقد انحازوا إلى نقد لغويّ ونحويّ، وتركوا البحث في الموازنة بين الشّعراء وفي جودة الكلام وأسبابها »[2]، فهو _ حسبه _ لم يقدّم للنّقد الأدبي شيئا، وبالتّالي هو كتاب في النّقد العلمي.

4.4 إحسان عباس:

يقرّ **إحسان عباس** باستقلالية النّقد الأدبي على يد **ابن سلام**، الّذي استطاع أنْ ينقل الصّراع القائم بين المحافظين والمجددين، إلى صراع آخر يُحاول من خلاله التّمييز بين النّاقد الحكيم المتبصر والنّاقد الفاقد للبصيرة[3]، أي أهم قضية اعتنى بها **ابن سلام** البحث عن النّاقد البصير، هذا الّذي يُمكنه معاينة العمل والتّمييز بين محاسنه ومساوئه، وهذا النّاقد _ حسب **إحسان عباس** _ هو ناقد ذو سلطة عند **ابن سلام**، إذْ لا يمكن الخروج عن حكمه لأنّه النّاقد الحكيم الّذي لا يجيد قراءته غيره.

أبدى **إحسان عباس** رأيه في منهج **ابن سلام** الّذي هو "الطّبقات"، فعرض طريقة تقسيم **ابن سلام** لتلك الطّبقات، لكنّه لم يشر إلى عدم التزامه بالمنهج[4].

كما وقف النّاقد على المقاييس الّتي بنى عليها **ابن سلام** دراسته في ترتيب الشّعراء وهي كالآتي:

* مقياس الفحولة:

يذكر النّاقد أنّ **ابن سلام** صرّح في الجزء الأوّل من كتابه باختياره معيار الفحولة في تصنيف الشّعراء، لكنّ **ابن سلام** يتجاوز هذا المقياس في الجزء الثّاني من الكتاب، وقد برّر **إحسان عباس** هذا التّجاوز بأنّه يمكن استنتاج اعتماده على المقياس من طبيعة العمل[5].

* التّشابه أو التّقارب:

يرى **إحسان عباس** أنّ هذا المقياس لا يتماشى مع المعايير النّقدية الحديثة، كون شعر الأعشى مثلا لا يشبه شعر **النّابغة** وغيره، لكنّ قد نجد شعراء يكتبون في نفس الغرض، كالغزل، الرّجز، الرّثاء، الفخر، ... الخ

---

[1]. ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[2]. المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[3]. ينظر: إحسان عباس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار الثّقافة، بيروت، ط4، 1983، ص78.

[4]. ينظر: المرجع نفسه، ص79.

[5]. ينظر: المرجع نفسه، ص80.

فالتّقسيمات في نظره كانت غامضة ملتبسة بسبب تحديد عدد الشّعراء في كلّ طبقة _ أي استعماله الطّبقة المغلقة _، فهذا التّصنيف أعاق عمل النّاقد، وهذا صحيح إذْ كان **ابن سلام** في بعض الأحيان يشير إلى أسبقية شاعر على آخر في نهاية طبقة وبداية طبقة أخرى.

*** الكم:**

ارتكز **ابن سلام** على هذا المقياس _ الّذي أخذه عن **الأصمعي** حسب **إحسان عباس** _ في الجزء الأوّل من الكتاب، وبالتّحديد في الطّبقة السّابعة قوله: « أربعة رهط محكمون مقلّون، وفي أشعارهم قلّة، فذاك الّذي أخرهم »[1]، لكنّه في حكمه على شعر **طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص** يتجاوز هذا الحكم ويُسبقهما _ رغم قلة أشعارهما _ وفق معيار الفحولة والشّهرة، وبرّر حكمه هذا بضياع أشعارهما.

*** اللّين:**

يرى النّاقد أنّ **ابن سلام** أخذ هذا المعيار عن **الأصمعي** أيضا، لكن توظيفه له كان مناقضا لما جاء به الأوّل، إذْ ربط **الأصمعي** اللّين بالخير، ويقصد بذلك أنّ سهولة الشّعر جاءت لمحاراته الحق، في حين ربطه **ابن سلام** بالوضع وقضية الانتحال[2].

على العموم تعدّ نظرية الطّبقات الّتي استحدثها **ابن سلام** في النّقد عسيرة _ وفق نظرة **إحسان عباس** _، فالنّاقد لم يتجاوز الأحكام المختصرة، لكنّه حاول وضع نظام خاص به خاصة في تحليله لكبار شعراء العصر الجاهلي وشعراء الإسلام[3]، وهذا ما وجدناه في تحليله للطّبقة الأولى من شعراء العصر الجاهلي وشعراء الإسلام.

4.5 عبد العزيز عتيق:

عاب **عبد العزيز عتيق** على **ابن سلام** عدم التّنظيم والتّرتيب فيقول: « وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أنّه ينقصه التّرتيب والتّنظيم المنهجيّ في التّأليف، وأغفل في طبقاته ذكر بعض كبار شعراء الإسلام من أمثال **الكميت بن زيد الأسدي، وعمر بن أبي ربيعة، والطّرماح بن حكيم** »[4]، وهذا ما رأيناه من خلال توزيعه للشّعراء المخضرمين بين طبقات فحول الجاهلية وطبقات فحول الإسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى تصنيفه لشعراء من العصر الجاهلي مع شعراء العصر الإسلامي، وهذا كان مع **بشامة بن الغدير المُرّى** الّذي وضعه في الطّبقة الثّامنة من طبقات فحول الإسلام، **وأبي زبيد الطّائي** الّذي وضعه في الطّبقة الخامسة من طبقات فحول الإسلام الّذي اختلف في إسلامه.

وذهب النّاقد إلى أكثر من ذلك حينما عاب على **ابن سلام** عدم رجاحة الرّأي في تصنيف الشّعراء، وتصنيفهم بطريقة عشوائية دون تقديم براهين يقول: « وفي الطّبقات نراه يقدّم في الطّبقة بعض من لا يستحق التّقديم ويؤخر بعض من يستحق التّقديم، دون أنْ يبدي أسبابا لهذا التّقديم والتّأخير. ففي طبقات الجاهليين وضع في الطّبقة السّادسة **عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة،**

---

[1]. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، ج1، مصدر سابق، ص155.

[2]. ينظر: إحسان عباس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص82.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4]. عبد العزيز عتيق، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط2، 1972، ص300.

وعنترة بن شداد، وسويد بن أبي كاهل. على حين وضع في الطّبقة الخامسة من دونهم شهرة ومنزلة من أمثال **خداش بن زهير بن أبي ربيعة، والمخبّل بن ربيعة، والأسود بن يعفر، وتميم بن أبي مقبل**. وكذلك فعل في طبقات الإسلاميين، حيث وضع **عبيد االله بن قيس الرّقيات والأحوص** في الطّبقة السّادسة، ووضع من هم أقل منهما في الخامسة أو الرّابعة »[1]، وهنا يقدّم **كثيرا** الّذي وضعه في الطّبقة الثّانية من الشّعراء الإسلاميين وأخر **جميلا** إلى الطّبقة السّادسة، وذلك بسبب تنوّع أغراضه الشّعرية بالرّغم من تفوق **جميل** على **كثير** وتقدّمه عليه في النّسيب.

وممّا تطرّق إليه النّاقد أنّ **ابن سلام** لم يقدّم أسبابه الّتي جعلته يضع طبقة شعراء القرى العربيّة، إذْ يقول هذا الأخير أنّ **ابن سلام**: « لم يتعرض لمكانة شعراء القرى العربيّة، مكتفيا بنسبهم وبعض أشعارهم، كما مرّ مرورا عابرا بشاعر كبير **كحسان بن ثابت**، دون أنْ يُشير إلى منزلته الأدبيّة أو يبدي رأيًا في شعره. وفي بعض الطّبقات اكتفى بسرد أسماء الشّعراء دون أنْ يورد عنهم خبرًا، أو يذكر لهم شعرًا، أو يُبديَ فيهم رأيًا »[2]، فهو لم يذكر كيفية تصنيفه داخل الطّبقة، ولم يذكر الأسباب الّتي قد تكون فرضت عليه وجود هذه الطّبقة.

لكنْ رغم هذه الأخطاء الّتي وقع فيها **ابن سلام** يبقى هذا الكتاب في نظر **عبد العزيز عتيق** الجوهر الأساسي لكلّ من كتب في هذا المجال[3].

4.6 جهاد المجالي:

بدأ **جهاد المجالي** تقييمه للكتاب برأي إيجابي، يرى فيه أنّ **ابن سلام** وُفق في وضعه أوّل كتاب مستقل في النّقد[4]، وهي في نظره علامة إيجابية تسجل **لابن سلام**، فهو بذلك قد وضع البنية الأساسية للنّقد الأدبي عند العرب بطريقة منظمة ومُنهجة، خاصة من خلال القضية النّقدية الّتي أثارها في كتابه ولا زالت تُثار إلى يومنا هذا، ألا وهي قضية الانتحال ومدى خطورتها على الشّعر العربي القديم، وتأكيده على الرّواية جعله يفصل الشّعر المنحول عن الشّعر الصّحيح.

فالنّاقد يرى أنّ **ابن سلام** نجح في وضع الشّعراء في المراتب الّتي يستحقونها، وفشل في وضع شعراء آخرين في مراتب لا يستحقونها، فهو لم يعدل بين الشّعراء وذلك « إمّا بتأثير من قناعاته هو، أو بتأثير من آراء العلماء الّذين احتج بهم، خصوصا وأنّه ضيّق على نفسه بهذا النّظام الرّباعي العشري الصّارم الّذي لا مرونة فيه »[5]، فالنّظام الّذي اتّبعه **ابن سلام** هو السّبب الّذي جعله لا ينصف الشّعراء، ورأيناه في بعض الأحيان يُدرج شاعر في طبقة ويقول أنّه يستحق أنْ يكون في الطّبقة الّتي تسبقه، وذلك مثلما فعل مع **أوس بن حجر** الّذي وضعه في الطّبقة الثّانية من طبقات فحول الجاهلية، لكنّه ذكر أنّه يستحق أنْ يكون في الطّبقة الأولى من

---

[1]. المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[2]. عبد العزيز عتيق، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، مرجع سابق، ص300.

[3]. ينظر: المرجع نفسه، ص301.

[4]. ينظر: جهاد المجالي، طبقات الشّعراء في النّقد الأدبي عند العرب _ حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري_، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992، ص98.

[5]. ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

طبقات فحول الجاهلية لولا تحديده أنْ يكون لكلّ طبقة أربعة شعراء، فتحديده للطّبقات هو الّذي جعله يقع في المأزق، فمثلما أخر شاعر بسبب نظام الطّبقة قدّم شاعر للسّبب نفسه دون تقديم حجج وبراهين وكان ذلك مع **الرّاعي النّميري**.

5 . الرّأي الشّخصي:

ننتهي بعد تقديم آراء النّقاد حول كتاب "طبقات فحول الشّعراء" إلى تقديم آرائنا وتقييم هذا الكتاب، ووضع النّقاط الإيجابية الّتي وُفق فيها **ابن سلام** والنّقاط السّلبية الّتي أدخلته في مزالق كان بغنى عنها، ويمكن حصرها قي النّقاط التّالية:

_ عدم التزام **ابن سلام** بالمنهج الّذي حدّده في مقدمة كتابه.

_ مخالفته لطريقة ترتيب الشّعراء المخضرمين بين الطّبقتين.

_ إضافة طبقات بعد طبقات فحول الجاهلية دون تقديم مبررات لذلك، وحديثه عنها كان مجرد سرد.

_ اعتماده على الطّبقة المغلقة الّتي حدّدها بأربعة شعراء جعله يدخل في مأزق، إذْ هناك شعراء كان لهم نفس المرتبة لكنْ بسبب التّحديد سبّق أحدهم الآخر، غير أنّنا إذا ذهبنا إلى الطّبقات الّتي أضافها نجده يتجاوز عدد الشّعراء المحدّد في منهجه.

_ الوقوف على قضايا نقدية مهمة في مقدمة الكتاب وهي*:

* الانتحال.

* التّوثيق.

* صناعة الشّعر.

* ثقافة النّاقد.

* بداية الشّعر العربي.

* الصّدق والكذب.

* الطّبع والصّنعة.

* بناء القصيدة.

* لغة الشّعر.

_ عدم مراعاته للمعايير الّتي استند عليها، إذْ نجده لم يراع مقياس الزّمن في ترتيب الشّعراء، ففي الطّبقة الثّانية من طبقات فحول الجاهلية وضع شاعرين جاهليين مع شاعرين مخضرمين[1]، وقد قدّم بعض الشّعراء المخضرمين ووضعهم في طبقات فحول الجاهلية دون تبرير، وهم من النّاحية الفنية أقل من شعراء الإسلام.

_ اعتمد **ابن سلام** على مقياس الشّهرة فبنى عليه كتابه، إلّا أنّه ذكر شعراء ولم يكتب عنهم شيئا مثل: **مسافر بن أبي عمرو، عبد الله بن حذافة السّهمي (الممزق)**، وغيرهما.

---

* لا يسعنا في هذا المقال عرض القضايا النّقدية الّتي تناولها **ابن سلام** في كتابه، لهذا أدرجنا هذا الموضوع في مقال آخر مستقل.

[1]. ينظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، ج1، مصدر سابق، ص97.

_ إذا ذهبنا إلى مقياس السّبق والإبداع كان هناك خلط وتناقض، فقد وضع **امرؤ القيس** على رأس الطّبقة الأولى لأنّه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، لكنّه أغفل ذكر **المهلهل بن ربيعة التّغلبي** رغـم اعترافـه أنّه « أوّل من قصّد القصائد وذكر الوقائع »[1] وهذا خطأ جسيم كان يجب على **ابن سلام** تفاديه.

_ كان على **ابن سلام** أنْ يدرج شعراء الرّجز في طبقة مستقلة مثل طبقة أصحاب المراثي.

_ خصّص النّاقد طبقة لشعراء اليهود، وكان عليه أنْ يتبع نفس المنهج ويضع طبقة خاصة بشعراء المسيحية، لكنّنا نجد العذر له كون شعراء اليهود يشكلون الأقلية مقارنة بشعراء الإسلام والمسيحية.

_ عدم توازن النّاقد في قراءته لطبقات الشّعراء، إذْ نجده في الطّبقة الأولى من طبقات فحول الإسلام يطيل في قراءته مقارنة بباقي الطّبقات.

_ اهتمام النّاقد بالتّوثيق، مستندا في ذلك على اللّغويين والنّحويين، جاعلا مدرسة البصرة نموذجا يحتذى بها.

6 . خاتمة:

ينتهي بحثنا مع ناقد بارع استطاع بحنكته تصنيف الشّعراء إلى طبقات متفاوتة من حيث النّوع، إضافة إلى ذلك أثار قضايا نقدية قيّمة في مقدمة كتابه رغم العيوب الّتي عرفها كتابه، **فابن سلام** وضع الخطوة الأولى لبناء النّقد الأدبي القديم، لكنْ لولا تأثره بالمحدِّثين الّذين كانوا السّباقين إلى فكرة الطّبقات لما وضع كتابا في الطّبقات، فهو لم يبتدع هذا المنهج ولكنّه أوّل من اعتمده في النّقد الأدبي القديم.

يمكن تلخيص نتائج البحث فيما يلي:

1_ حضور الحس الدّيني في الخطاب النّقدي عند **ابن سلام**، وهذا بسبب تأثره بعلماء الحديث.

2_ الإشارة إلى قضايا مهمة كالانتحال وبيان خطورته على الشّعر العربي القديم.

3_ دراسته كانت دقيقة مبنية على الرّواية الموثوقة الّتي أخذها عن اللّغويين والنّحويين.

4_ التّمييز بين الشّعر والنثر وذلك أثناء حديثه عن مفهوم الشّعر.

5_ تعرّض **ابن سلام** من خلال دراسته لشعر الشّعراء إلى بنية القصيدة العربيّة، والّتي جاءت مكتملة البناء مع **امرئ القيس**.

6_ تنبه **ابن سلام** إلى حقيقة الشّعر باعتباره صنعة كغيره من الصّناعات.

7_ تعصب **ابن سلام** للشّعراء القدامى وعدم تقبله للشّعراء المحدَّثين، وذلك لتأثره باللّغويين والنّحويين.

8_ عدم التزام **ابن سلام** بالمنهج الّذي حدّده في مقدمة كتابه، وإخفاقه في تطبيق هذا المنهج، خاصة بعد تجاوز حدّ الشّعراء في الطّبقة الواحدة.

9_ إدراج **ابن سلام** لشعراء لم يترجم لهم دون تقديم أي مبررات.

[1]. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، ج1، مصدر سابق، ص39.

10_ عدم مراعاته للمعايير الّتي استند عليها.

ما دام الكتاب يعدّ البدايات الأولى للنّقد الأدبي، تبقى هذه الهنات الّتي لحقته نقطة في بحر، استطاع صاحبه أنْ ينفذ منها كون كتابه يعدّ محاولة أولى في تنظيم وتبويب النّقد الأدبي، وذلك بالاستعانة إلى الآراء والمعارف السّابقة، فخرج هذا الكتاب إلى الوجود ليحدّد انطلاقة النّقد الأدبي واستقلاليته عن العلوم الأخرى.

7. قائمة المصادر والمراجع:

1_ إحسان عباس، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار الثّقافة، بيروت، ط4، 1983.

2_ أحمد أمين، تاريخ النّقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، مصر، دط، 2012.

3_ جهاد المجالي، طبقات الشّعراء في النّقد الأدبي عند العرب _ حتّى نهاية القرن الثّالث الهجري_، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992.

4_ الزّركلي خير الدّين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 1980.

5_ ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، دط، دت.

6_ شوقي ضيف، في النّقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5، دت.

7_ طه أحمد إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب _ من العصر الجاهلي إلى القرن الرّابع الهجري_، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، دط، 2004.

8_ عبد العزيز عتيق، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب، دار النّهضة العربيّة، بيروت، ط2، 1972.

9_ ابن النّديم، الفهرست، مؤسسة الفرقان للتّراث الإسلامي، لندن، دط، 2009.

10_ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تح.: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.